2-حكام سلاجقة الموصل بحسب الذهبي (ت748هـ/ 1347م) في كتابه تاريخ الإسلام

أ.م.د.هدى ياسين الدباغ
جامعة الموصل/مركز دراسات الموصل
maysoonthanoon9@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2/1/2020 تاريخ القبول: 1/2/2020

المقدمة

من الدراسات المهمة في مجال التاريخ الإسلامي، دراسة كتب التاريخ العام، لا سيما أن أصحاب تلك المؤلفات من الشخصيات التي احتلت مكانة متميزة في التاريخ الإسلامي، وذلك بفضل الدور الكبير والمتميز والخدمات الجليلة التي قدموها للأمة الإسلامية في مجال اختصاصاتهم سواء أكانت دينية أم علمية، لاسيما المؤلفات المهمة والقيمة التي تركوها والتي قدمت فائدة وخدمة عظيمة لمن جاء بعدهم من طلاب العلم. ومن بين تلك الشخصيات التي تركت بصمة متميزة في مجال التاريخ الإسلامي، محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (748هـ/1347م)الذي ولد في دمشق من أسرة تركمانية الأصل، وقد نشأ الذهبي في أسرة علمية متدينة عني أفرادها بطلب العلم لاسيما علم الحديث، وكذلك عني الذهبي بعلم الحديث عناية كبيرة فضلا عن اهتمامه بعلوم أخرى. وترك الذهبي الكثير من المؤلفات في مجال التاريخ العام والسير والتراجم وظلت مؤلفاته التي تركها معينا لا ينضب للكثير من طلاب العلم، ومنها كتاب سير اعلام النبلاء، والعبر في خبر من غبر، وتذكرة الحفاظ، وغيرها من المؤلفات المهمة. ومن مؤلفاتهِ القيمة والمهمة كتاب تاريخ الإسلام في وفيات المشاهير والاعلام، والذي يعد من أمهات المصادر التاريخية في عصرنا، إذ تناول فيهِ تاريخ الإسلام من بدء الهجرة النبوية حتى سنة (700هـ/1300م)، فحصر مادة ضخمة في نطاقهِ الزماني الممتد عبر سبعة قرون كاملة، وفي نطاقهِ المكاني الشامل لجميع الرقعة الواسعة التي امتد اليها الإسلام من الاندلس غرباً الى أقصى المشرق.

ومن بين المواضيع التي تناولها الذهبي في كتابهِ تاريخ الإسلام، حكام وأمراء الموصل في العصر السلجوقي، الذين ساهموا بدور حاسم في الاحداث التالية بسبب ما تتمتع به الموصل من موقع استراتيجي حصين يحميها من الأخطار المباشرة للهجوم الصليبي، هذا فضلاً عن أنهم يمثلون حلقة الوصل المباشرة بين السلاطين السلاجقة، والامارات العربية الإسلامية المنتشرة في إقليم الجزيرة، وقد شارك ولاة الموصل بقوة في الأحداث والإسهام في مصائر المنطقة ليس من خلال دورهم في الجهاد ضد الفرنج فحسب بل لكونهم لعبوا دوراً هاماً في الصراع القائم حول السلطنة السلجوقية، وكان لهم أعظم الأثر في إرساء قواعد الجهاد ضد الفرنج والتمهيد لمراحل جديدة من النضال تسلم القيادة خلالها رجال أبطال واصلوا مسيرة الجهاد وتحرير الوطن العربي من آثار الغزو الصليبي، ولعل الاسباب السابقة هي التي دفعت الباحثة لاختيار موضوع البحث، وقد ذكر الذهبي سبعة من الولاة البارزين الذين حكموا الموصل في العصر السلجوقي وهم: قوام الدولة أبو سعيد كربوقا (489 – 495هـ/ 1095 – 1101م)، وشمس الدولة جكرمش (495هـ/ 1101 – 1106م)، قلج أرسلان (502 هـ/ 1108م)، و جاولى سقاوة (500 . 502هـ/1106 – 1108م)، ومودود بن التونتكين (502 – 507هـ/ 1108 – 1113م)، واق سنقر البرسقي، الولاية الأولى (507 – 509هـ/ 1113

– 1115م) عز الدين مسعود بن السلطان محمد وأتابكة وجيوش بك ((507– 516هـ/ 1113 – 1122م)، والولاية الثانية للبرسقي ايضاً سنة(515هـ–520هـ/ 1121 – 1126م)، وقد تحدث الذهبي عن هؤلاء الولاة في صفحات متفرقة من كتابه تاريخ الإسلام، وذلك حسب التسلسل الزمني لتاريخ الحوادث، وقمنا بمتابعتها واحصائها، وكانت معلوماتهُ موجزة عن هؤلاء الولاة ركز فيها على الجوانب السياسية والعسكرية. وقد تم تقسيم موضوع البحث الى عدد من الفقرات الرئيسة وهي: المقدمة، أولاً: الذهبي، اسمه ونسبه وولادته، ثانيا: نبذة عن نشأته ورحلاته وعلمه، ثالثا: عصره، رابعا: المناصب التي تولاها، خامسا: وفاته، سادسا: نبذة عن كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، سابعاً: حكام سلاجقة الموصل بحسب الذهبي في كتابهِ تاريخ الإسلام، وهذه الفقرة قسمت بدورها الى عدد من النقاط الرئيسة ضمت1– حكام الموصل في العصر السلجوقي وكيفية سيطرتهم على الموصل وعلاقتهم بالسلاطين السلاجقة.2– علاقة حكام الموصل بحكام الامارات والمدن المجاورة 3– جهاد حكام الموصل ضد الصليبيين.

أولا: الذهبي؛ اسمه ونسبه وولادته:

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي، ولد سنة(673هـ/1274م)في دمشق من أسرة تركمانية الأصل، وكان والده يعمل في صناعة الذهب فعرف ابنه محمد بابن الذهبي نسبة إلى صنعة أبيه((29)).

ثانيا: نبذة عن نشأته ورحلاته وعلمه:

نشأ الذهبي في أسرة علمية متدينة كان لها الأثر في تبوئه مكانة مرموقة وشهرة واسعة بين علماء عصره، فقد طلب والده العلم وسمع صحيح البخاري، وفي سنة(673هـ/ 1274م) أجاز له أخوه من الرضاعة الشيخ علاء الدين بن العطار احمد بن أبي الخير، من عدة شيوخ في السنة التي ولد فيها، إذ كان استحصال الإجازة لهم طلبا للبركة وتمنيا للطفل أن يكون في قابل أيامه مواظبا على الدرس والقراءة((30))، وكانت عمته ست الأهل بنت عثمان، قد حصلت على الإجازة في رواية الحديث من عدة شيوخ وروى الذهبي عنها، وكان خاله يروي الحديث وروى عنه الذهبي أيضا، ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره اهتم بدراسة علم القراءات والحديث الشريف على يد العديد من الشيوخ، فأتقن القراءات وبرع فيها وحصل على الإجازات بهذا الشأن، أما الحديث فقد عني به عناية فائقة وشغل معظم تفكيره واهتمامه وأمضى حياته في الاهتمام به فقرأ عددا لا يحصى من الكتب ولقي كثيرا من المشايخ وسمع منهم((31))، مثل الشيخ قطب الدين بن أبي عصرون((32))، وأحمد بن هبة الله بن عساكر((33))، وبدر

---

(29) صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أبو عبد الله جلال الأسيوطي، ط1(بيروت، دار الكتب العلمية، 2010)ج2/42؛ تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط1(مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤهُ، 1971)ج9/ –100 101؛بشار عواد معروف، **الذهبي ومنهجهُ في كتابه تاريخ الإسلام**،ط1(القاهرة، عيسى البابي الحلبي وشركاؤهُ، 1976) ص79–77.

(30) ضياء محمد محمود جاسم، **أقسام الصحابة عند الامام الذهبي**، مجلة الجامعة الإسلامية، 2008،ص288.

(31) السبكي، **طبقات الشافعية**،ج9/102؛شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** (الهند، حيدر اباد الدكن، 1972)ج5/ 66؛بشار عواد معروف، الذهبي ومنهجهُ،ص79.

(32) قطب الدين بن أبي عصرون: أحمد بن عبد السلام المحدث، أجاز له العديد من الشيوخ بدمشق وروى عنهُ الكثير من طلاب العلم توفي سنة 675هـ/ 1276م، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، أعتناء: شكري فيصل، فيسبادن، فرانزشتاينر، د، ت.

(33) أبن عساكر، أبو القاسم علي بن هبة الله بن عبد الله، محدث الشام ولد سنة 499هـ قام برحلة الى العراق وخراسان ومكة والمدينة وغيرها من المدن والبلدان. للمزيد ينظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام**، حوادث ووفيات 580–571، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط2(بيروت، دار الكتاب العربي، 1998)ج562–20/554.

الدين بن عبد الله الصوافي[34] وغيرهم[35]. وفضلا عن شيوخ الذهبي في دمشق، فقد كانت له رحلات إلى العديد من المدن في بلاد الشام من اجل طلب العلم فرحل إلى بعلبك وسمع من شيوخها وكذلك رحل إلى حمص وحماة وحلب وطرابلس ونابلس والرملة والقدس، كما رحل إلى مصر والإسكندرية وسمع من العديد من الشيوخ في مجال القراءات، وكانت له رحلة إلى الحجاز لغرض أداء فريضة الحج فسمع بمكة والمدينة[36]. ولم يقتصر الذهبي في دراسته على علم الحديث والقراءات اللذين عني بهما عناية فائقة، وإنما عني بدراسة النحو والشعر واللغة والأدب كذلك اهتم بالتاريخ وسمع على شيوخه في المغازي والسيرة والتاريخ العام[37].فضلا عن ذلك كان للذهبي الكثير من طلاب العلم لاسيما في مجال الحديث ومنهم تاج الدين السبكي[38] والصفدي[39]،وعن ذلك قال السبكي[40]:(وسمع منه الجمع الكثير، ومازال يخدم هذا الفن إلى أن رسخت فيه قدمه، وتعب الليل والنهار وما تعب لسانه وقلمه، وضربت باسمه الأمثال، وسار اسمه مسير الشمس...).وقد أشاد العديد من المؤرخين الذين ترجموا للذهبي بمكانته العلمية المتميزة وعطائه الثر، فقال عنه تلميذه السبكي [41]:(...وأما أستأذنا أبو عبد الله فبصر لا نظير له، وكنز، هو الملجأ إذا نزلت المعضلة إمام الوجود حفظا، وذهب العصر معنا ولفظا، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل، كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها...). وقال عنه ابن حجر العسقلاني[42]:(كان علامة زمانه من الرجال وأحوالهم، حديد الفهم ثاقب الذهن، وشهرته تغني عن الإطناب فيه...).

ثالثا:عصره:

كان المماليك ورثاء الأيوبيين في حكم مصر والشام، وساروا على منوالهم في شؤون كثيرة [43]وكان المغول العدو الرئيس للمماليك، واتسمت العلاقة بين الطرفين بالتوتر والصراع والمواجهة العسكرية، إذ كان المغول يهدفون إلى الاستيلاء على الشام وقاموا بالعديد من الهجمات عليها لاسيما في السنوات (666هـ/1267م، 699هـ/1299م، 702هـ/1302م، 712هـ /1312م). وقد وقف الظاهر بيبرس(ت676هـ/1277م)في وجه قادة المغول ومنعهم من الاستيلاء على الشام[44]. كذلك واجه المماليك سلاطين الشام ومصر الصليبين الذين كانت بقاياهم لا تزال تسيطر على أنطاكية وبعض مدن الساحل الشامي مثل طرابلس وعكا وقيسارية وغيرها، وبدأ الظاهر بيبرس سلسلة من الحملات المتتابعة لتحرير المدن والقلاع التي كانت بيد الصليبين وتم تحرير بعضها في عهده إذ تمكن من الاستيلاء على قيسارية وارسوف وانطاكية وبعض المدن والحصون الأخرى، وتولى السلاطين الذين

---

(34) بدر بن عبد الله الصوابي: الأمير بدر الدين أبو المحاسن الصوابي الطواشي، كان موصوفاً بالكرم والشجاعة والرأي حج بالناس أكثر من مرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، تحقيق: محمد محمد أمين، وسعيد عبد الفتاح عاشور (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984)ج3/ 243.

(35) للمزيد ينظر: السبكي، **طبقات الشافعية**،ج9/ 101، 102؛ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج3/ 243.

(36) للمزيد ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج2/ 43؛ السبكي، **طبقات الشافعية**،ج9/102.

(37) معروف، **الذهبي ومنهجه**، ص96

(38) **طبقات الشافعية**،ج9/ 100.

(39) **الوافي بالوفيات**،ج2، 42.

(40) **طبقات الشافعية**، ج9/ 103

(41) **المصدر نفسهُ**، ج9/ 101.

(42) **الدرر الكامنة**،ج68-5/66.

(43) احسان عباس، **تاريخ بلاد الشام في عصر المماليك 923-648هـ/ 1587-1250**(عمان، مطبعة الجامعة الاردنية، 1998)ص71.

(44) عماد الدين اسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، ط2(بيروت، مكتبة المعارف، 1977)ج13/ 269، 251، 248وما بعدها؛ يوسف جرجيس جبو الطوني، **جهود العراقيين الحضارية في بلاد الشام ومصر 803-656هـ/ -1258 1400م**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990، عباس، تاريخ، ص71

أعقبوه تحرير ما تبقى، وكانت عكا آخر معاقل الصليبين الحصينة التي حررت سنة(690هـ/1291م)، وبعد تطهير الساحل الشامي انتقل كثير من بقايا الصليبين في الشام إلى جزر البحر المتوسط ومما ساعد المماليك على سرعة القضاء على تلك الجيوش الصليبية الفوضى والانحلال والخلافات المتنامية فيما بينهم[(45)].

أما من الناحية العلمية، فقد ازدادت المدارس في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، واستمر المماليك على نهج الأيوبيين في بناء الجوامع والمدارس والربط والبيمارستانات، وقربوا العلماء وشجعوهم على القدوم إلى الشام وعهدوا إليهم بالتدريس والقضاء والفتوى، وكان الاهتمام بالمدرسين والفقهاء مدفوعا بعامل التقوى، كما أن ذلك الاهتمام اتخذ أداة لضمان بقاء الحكم بيد المماليك، لما كان لتلك الفئات الدينية من تأثير كبير في عموم الناس، وأصبحت دمشق في نهاية ق7هـ/13م،مركزا كبيرا من مراكز الحياة الفكرية فيها من المدارس العامرة ودور الحديث والقرآن العدد الكثير، وكانت العناية بالدراسات الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد من السمة البارزة لهذا العصر[(46)]، كذلك تميز هذا العصر بانتشار التصوف وزاد تأثيرهم في حياة المجتمع وفي تصرفات الناس، وكان لهؤلاء الصوفية مكانة لدى كافة طبقات المجتمع وبخاصة الأمراء، وتسابق كبار رجال الدولة وأعيان الناس في بناء الزوايا والربط وألحقوا بها الأوقاف الجليلة، وكثر الإقبال على التصوف سواء أكان رغبة في العبادة والانقطاع إليها أم الفرار من صعوبة الحياة وقسوتها، وبالغ المجتمع في ذلك العصر في اعتقاده بالأولياء فنسب إليهم الخوارق والكرامات، كما كثرت زيارة الناس لمزارات الأولياء وقبورهم، كما شهدت دمشق في هذا العصر نزاعا مذهبيا وعقائديا حادا، وكان الحكام المماليك يتدخلون فيه في كثير من الأحيان، فيناصرون فئة على أخرى وبقدر ما ولد هذا التعصب من تمزق في المجتمع، فإنه ولّد في الوقت نفسه نشاطا علميا واضحا في هذا المضمار تمثل في الكتب الكثيرة التي وضعت فيه[(47)].

رابعا: المناصب التي تولاها:

نظرا للمكانة المتميزة التي كان يتمتع بها الذهبي وللمؤهلات التي كان يمتلكها، فقد تولى العديد من المناصب العلمية والتدريسية وتولى كبريات دور الحديث بدمشق، والتدريس فيها ومن ذلك على سبيل المثال: أول ما ولي تصدير حلقة بجامع بدمشق للإقراء عوضا عن احد الشيوخ المقرئين العراقيين وذلك في سنة(699هـ/1299م) [(48)]. وفي سنة(729هـ/1328م) تولى مشيخة دار الحديث الظاهرية[(49)].أما في سنة (739هـ/ 1338م)فقد تولى مشيخة دار الحديث والقران التنكزية[(50)]، ودار الحديث الفاضلية [(51)]، وكذلك تولى تدريس الحديث بتربة أم الصالح، كما درّس بالمدرسة النفسية[(52)] وتولى إمامتها

(45) الطوني، **جهود العراقيين**،ص39؛ عباس، تاريخ، 73؛ ريهام عبد الله المستادي، الظاهر بيبرس واستعادة امارة انطاكية، **دورية كان التاريخية**، العدد2009، 3، ص36–29، والبحث نقلاً عن المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الالكتروني: www.ivsl.org

(46) معروف، **الذهبي ومنهجهُ**،ص75؛ الطوني، **جهود العراقيين**، ص48؛ عباس، **تاريخ**،ص75

(47) عباس، تاريخ، ص149–148؛ معروف، **الذهبي ومنهجهُ**، 77–76.

(48) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**،ج5/ 68–66.

(49) دار الحديث الظاهرية: أسسها الملك الظاهر بيبرس البندقداري سنة 676هـ،هي والمدرسة الظاهرية، وهي اليوم مقر دار الكتب الظاهرية الواقعة قبالة المجمع العلمي العربي بدمشق. معروف، **الذهبي ومنهجهُ**،ص107.

(50) دار الحديث والقرآن التنكزية: تقع شرقي حمام نور الدين بدمشق بسوق البزورية وتجاه دار الذهب، وكانت هذه الدار حمام فهدمه نائب السلطنة تنكر الناصري وجعلهُ دار قران وحديث ورتب فيها الطلبة والمشايخ سنة 728هـ.(عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، **الدارس في تاريخ المدارس**،ط1(بيروت، دار الكتب العلمية،1990)ج1/91.

(51) دار الحديث الفاضلية: تقع بالكلاسة بدمشق وهي للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني النعيمي، المصدر نفسهُ، ج1/67.

(52) المدرسة النفسية: تقع في دمشق، وقد نزل الذهبي عنها الى الشيخ شرف الدين بن الواني الحنفي في مرض موتهِ ايضاً فدرس فيها، **المصدر نفسهُ**، ص110.

عوضا عن الشيخ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي(ت 739هـ/1338م) [(53)].

خامسا: وفاته:

فقد الذهبي بصره في السنوات الأخيرة من حياته، وتوفي في سنة(748هـ/1347م)،ودفن بمقابر باب الصغير بدمشق، وحضر وفاته مجموعة كبيرة من العلماء ومنهم تلاميذه تاج الدين السبكي، وصلاح الدين الصفدي[(54)].

سادسا: نبذة عن كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام وأهميتهُ التاريخية:

اشتهر الذهبي بكتابه المهم جداً والقيم (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام)، ونال هذا الكتاب شهرة واسعة لما تميز بهِ من ميزات عظيمة، اذ هو أضخم مؤلفات الذهبي الكثيرة، وأوسع التواريخ العامة حتى عصرهِ، تناول فيهِ تاريخ الإسلام من بدء الهجرة النبوية حتى سنة 700هـ، فحصر مادة ضخمة في نطاقهِ الزماني الممتد عبر سبعة قرون كاملة وفي نطاقهِ المكاني الشامل لجميع الرقعة الواسعة التي امتد اليها الإسلام من الاندلس غرباً الى أقصى المشرق، وقد شمل الحوادث الرئيسة التي مر بها المسلمون منذ هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) وتعاقب الاحداث والدول في شتى انحاء العالم الإسلامي حتى نهاية القرن السابع الهجري. كما ضم تراجم المشهورين في كل ناحية من نواحي الحياة، ولم يقتصر على فئة معينة منهم، وفي مجال التراجم تظهر عظمة الذهبي من حيث العدد والشمول الفريد الذي فكانت تراجمهُ بحدود اربعين ألف ترجمة، وهو مما لا نجده في كتاب اخر من بابهِ ممن سبقه، أو جاء بعدهُ[(55)].

وتضمن تاريخ الإسلام مادة واسعة في التاريخ السياسي والاداري، وعني بذكر الاحوال الاقتصادية للدولة الإسلامية، وتكمن أهمية تاريخ الإسلام في تصويرهِ للحياة الفكرية على مدى العصور الإسلامية، كما أنهُ بين تطور الفكر الإسلامي طيلة سبعة قرون، وصور الكتاب مقاييس الثقافة في كل فترة من الفترات، واتجاهات العلماء الدراسية، وطرق التدريس والاملاء والمناظرة والمذاكرة، واماكن الدراسة، وقدم الذهبي مادة اساسية في معرفة نوعية الكتب والعلوم التي اهتم بها الطلبة في عصر من العصور مما يستفاد منها في التعرف الى أوجه النشاط الثقافي واتجاهات الثقافة ونوعيتها في ذلك العصر وحفظ لنا الذهبي في تاريخ الإسلام، عدداً هائلاً من أسماء مؤلفات المترجمين ولم يكتف الذهبي بذكر الكتب ونسبتها الى مؤلفيها بل تكلم على كثير منها وقومها [(56)]. وتميز كتاب تاريخ الإسلام على (سير أعلام النبلاء)، بالكمية الهائلة التي يحتوي عليها من التراجم، فضلاً عن أنهُ تميز بذكر الأحداث الحولية واذا كانت التراجم في كتاب السير تقتصر على الاعلام النبلاء كما نص المؤلف على ذلك في عنوانهُ، فإن التراجم في تاريخ الإسلام لا تقتصر على المشاهير والاعلام كما يقول العنوان، وانما تضم رجالا غير مشاهير بل أن البعض منهم يعدون من المجاهيل [(57)].

سابعاً: حكام سلاجقة الموصل بحسب الذهبي (ت748هـ/ 1347م) في كتابه تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: يمكن تقسيم المعلومات التاريخية التي جاء بها الذهبي في كتابهِ (تاريخ الإسلام) عن حكام الموصل في العصر السلجوقي على النحو الآتي:

---

(53) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**،ج5/ 68-66؛للمزيد ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2/44.

(54) السبكي، طبقات الشافعية،ج9/106؛أبو الفلاح عبد الحي المعروف بابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**،تحقيق: لجنة احياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة(بيروت، دار الافاق الجديدة، د،ت)ج6/154-155.

(55) معروف، **الذهبي ومنهجهُ**، ص11.

(56) **المرجع نفسهُ**، ص14.

(57) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام**' مقدمة المحقق: عمر عبد السلام تدمري،ط2(بيروت، دار الكتاب العربي، 1993)ص1،2

1 - حكام سلاجقة الموصل وكيفية سيطرتهم على الموصل وعلاقتهم بالسلاطين السلاجقة:

تطلع السلاجقة للاستيلاء على الموصل منذ أواخر النصف الاول من القرن الخامس الهجري، فقاموا بعدة محاولات استهدفت القضاء على حكم الامراء العرب من بني عقيل في الموصل، وإقليم الجزيرة الفراتية، ومما يذكر أن الدولة العقيلية أشرفت على الزوال بعد تعاظم نفوذ السلاجقة واستئثارهم بالسلطة دون الخلفاء، وكان مصرع مسلم بن قريش(478-453هـ/1085-1061م) خلال المعركة التي دارت بينه وبين قتلمش السلجوقي(479-470هـ/1086-1077م) سنة(478هـ/ 1085م) إيذاناً بنهاية حكم العقيليين في الموصل وإقليم الجزيرة بسبب السياسة التي اتبعها أمراؤهم والتي ادت الى انقسامهم على أنفسهم وتحالفهم مع امراء المدن المجاورة تحقيقا للمزيد من المكاسب غير مبالين بالنتائج التي سوف تترتب على هذه السياسة[(58)]، وبعد مقتل الامير العقيلي ابراهيم بن قريش العقيلي(478-486هـ/1093-1085م) هو وعدد من الامراء على يد تاج الدولة تتش(488-470هـ/-1077 1095م) وذلك سنة(486هـ/1093م)، لجأ بنو عقيل والأمير علي بن مسلم(489-486هـ/-1093 1095م) الى السلطان بركيا روق(498-472هـ/1104-1079م) لإعادة امارة الموصل اليهم فوافق الاخير على طلبهم وعادوا الى الموصل، ولم يكد علي بن مسلم يستقر بإمارة الموصل حتى نازعهُ أخوهُ محمد بن مسلم(قتل سنة 489هـ/ 1095م) واعلن العصيان[(59)].

وقد ذكر الذهبي[(60)]،كيفية سيطرة أول حاكم من حكام الدولة السلجوقية على مقاليد الحكم في الموصل وقضائهِ على الدولة العقيلية، الا وهو كربوقا، اذ استنصر محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي، بكربوقا على أخيهِ عليّ بن مسلم العقيلي صاحب الموصل، وكان كربوقا وأخوهُ التونتاش قد التف حولهما الكثير من العساكر واستولوا على حران، وغدر كربوقا بمحمد بن مسلم وقبض عليه وقتلهُ، وسار كربوقا الى الموصل، ونزل أخوهُ التونتاش من الجهة الاخرى، وأشار الى محاولة صاحب الجزيرة العمرية جكرمش فك الحصار عن المدينة الا ان التونتاش هزمهُ. وقد وجد جكرمش أن المصلحة تقضي بالانضمام الى كربوقا بعد أن تأكد لديهِ أن بني عقيل لا يمكنهم الصمود طويلاً [(61)]. ثم ذكر الذهبي[(62)]حالة أهل الموصل وما عانوهُ خلال ذلك الحصار، والمدة التي استغرقها، فقال: (... وطالت مصابرتهما[كربوقا وأخوهُ] لأهل الموصل حتى عدمت الأقوات، وكل شيء حتى ما يوقدونهُ، ودام الحصار تسعة اشهر...)، ثم ذكر مغادرة صاحب الموصل علي بن مسلم العقيلي للموصل، وتوجههُ الى الحلة وأميرها صدقة بن مزيد(501-479هـ/1107-1086م)، وتمكن كربوقا من الاستيلاء على الموصل سنة (489هـ/1095م). وأوضح ما قام به التونتاش بعد السيطرة على الموصل، اذ صادر الناس، فقتله أخوهُ كربوقا، واحسن تعاملهُ مع أهلها [(63)]. وبذلك أصبحت الموصل خاضعة خضوعا مباشراً للدولة السلجوقية وتوالى على حكمها عدد من الولاة السلاجقة استمر حكمهم حتى سنة(521هـ/1127م)، وانتقل الحكم الى عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة اقسنقر(-521 541هـ/ 1146-1127م) مؤسس دولة الأتابكة في الموصل[(64)].

وذكر الذهبي[(65)]، علاقة كربوقا بالسلطان السلجوقي، واتسمت هذهِ العلاقة بالولاء والطاعة أحياناً،

(58) رشيد عبد الله الجميلي، **الموصل في عهد السيطرة السلجوقية521-489هـ/1127-1095م، موسوعة الموصل الحضارية**، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر،، ط1، 1992، مج2/122 .

(59) **المرجع نفسهُ**، مج2/122-123.

(60) الذهبي، **تاريخ الإسلام**،ج33/ 43.

(61) الجميلي، **موسوعة الموصل الحضارية**، مج2/123.

(62) **تاريخ الإسلام**،ج33/43

(63) **المصدر نفسهُ**،ج33/43.

(64) الجميلي، **موسوعة الموصل الحضارية**، مج2/123.

(65) **تاريخ الإسلام**،ج34/26.

والتمرد والعصيان أحياناً أخرى. فبينّ علاقة الولاء والطاعة التي كانت بين حاكم الموصل كربوقا والسلطان بركيا روق، فعند دخول السلطان بركيا روق الى مدينة الري جاء الى خدمتهِ صاحب الموصل كربوقا. ومن خلال حديث الذهبي[(66)] عن المواجهة التي حدثت بين بركيا روق وأخيهِ السلطان محمد بن ملكشاه(512-499هـ/1118-1105م)وذلك سنة(493هـ/1099م)، أشار الى انضمام حاكم الموصل كربوقا الى جانب بركيا روق وكان على ميسرة جيشهِ، وانتهت تلك المواجهة بهزيمة الاخير. وفي موضع اخر ومن خلال حديثهِ عن وفاة قوام الدولة كربوقا، أشار الذهبي[(67)]الى ارسال السلطان بركيا روق، لحاكم الموصل كربوقا الى مدينة خوي[(68)]والى أذربيجان، فاستولى على أكثرها، ومن ثم مرضهُ ثلاثة عشر يوماً في مدينة خوي ووافاهُ الاجل سنة(495هـ/1101م) قبل أن يعود الى مقر حكمهِ في الموصل. ومما يذكر أن معظم أمراء الموصل أسهموا في اخماد الفتن والاضطرابات التي كانت تحتدم في انحاء الدولة السلجوقية حتى لو أستدعى الأمر الذهاب بعيداً عن مركز اماراتهم[(69)].

والحاكم الثاني من حكام الدولة السلجوقية هو شمس الدولة جكرمش الذي آلت اليه ولاية الموصل بعد مصرع موسى التركماني سنة(495هـ/1101م)، كان الاخير ينوب عن كربوقا فيَ حصن كيفا، وشمس الدولة جكرمش ينوب عنه في جزيرة ابن عمر. ومن الجدير بالذكر، أن الأمراء السلاجقة فرضوا نفوذهم على المدن والامارات المجاورة وأخضعوها باسم السلطان السلجوقي باعتبارهم نواباً عنهُ في حكم هذهِ الاقاليم، وكانوا يوزعون الإقطاعات على أمراء الجند على أن يكونوا مرتبطين ارتباطاً مباشراً بإمارة الموصل ويلتزمون بالقيام بواجباتهم المالية والعسكرية[(70)].وقد اوضح الذهبي[(71)]كيفية سيطرة جكرمش على الموصل، فأشار الى انضمام عسكر موسى التركماني الى شمس الدولة جكرمش الذي افتتح نصيبين، ثم نزل الى الموصل، وحاصر موسى مدة، وكان الأخير قد سار الى الموصل بعد أن استدعاهُ أعيان المدينة ليسلموهُ إياها عندما بلغهم خبر موت كربوقا[(72)]، فاستنجد موسى التركماني، بسقمان بن ارتق(498-492هـ/1104-1098م)على ان يطلق له حصن كيفا، وعشرة آلاف دينار، فسار من ديار بكر ونجدهُ، فرحل عنه جكرمش، وبينّ الذهبي[(73)]كيفية مقتل موسى التركماني في سنة(495هـ/1101م)، وذلك بعد خروج موسى لتلقي سقمان بن ارتق فوثب عليه جماعة وقتلوه وهرب خواصه، وملك سقمان حصن كيفا التي بقيت بيد ذريتهِ الى سنة بضع وعشرين وستمائة، وذكر مسير جكرمش الى الموصل ومحاصرتها وتسلمها من اهلها صلحاً في سنة(495هـ/1101م)، وأحسن السيرة، وقتل الذين وثبوا على موسى، واستولى على الخابور وغيرهُ.

ثم تحدث الذهبي[(74)]عن علاقة جكرمش بالسلطان السلجوقي محمد اذ ذكر خروج الاخير من مكان اقامتهِ في تبريز الى مراغة[(75)]، وذلك لقتال جكرمش حاكم الموصل سنة(498هـ/ 1104م) وكان السلطان محمد قد سار الى الموصل مستهدفاً انتزاعها من جكرمش بسبب عصيان الاخير وعدم دخوله

(66) **المصدر نفسهُ**،ج34/23.

(67) **المصدر نفسهُ**،ج34/46.

(68) خوي: بلد مشهور من أعمال أذربيجان حصن كثير الخير والفواكه ينسب اليها الثياب الخوية وينسب اليها أيضاً عدد من الشخصيات. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي،**معجم البلدان**(بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، 1957)مج2/408.

(69) الجميلي، **موسوعة الموصل الحضارية**، مج2/124.

(70) **المرجع نفسهُ**، مج2/123.

(71) **تاريخ الإسلام**،ج34/47.

(72) سليمان الصائغ، **تاريخ الموصل**، تحقيق: عبد الخالق بن عبد الطيف بن حسن الموصلي(بيروت، دار الكتب العلمية،2013)مج1/187.

(73) **تاريخ الإسلام**،ج34/ 47.

(74) **المصدر نفسهُ**، ج34/ 63.

(75) مراغة: بلدة مشهورة في بلاد أذربيجان.(ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج5/93).

في طاعة السلطان محمد، والذي اصبحت العديد من المدن ومنها الموصل تابعة لهُ، بعد عقد الصلح مع اخيهِ بركيا روق.[76] وذكر تحصين جكرمش للموصل، وأمر الناس المنتشرين خارج الموصل بدخولها، فنازله السلطان محمد، وحدث قتال بين الطرفين، وقاتل أهل الموصل الى جانب جكرمش لمحبتهم لهُ، ودام القتال مدة، ولما بلغت جكرمش وفاة السلطان بركيا روق، أرسل الى محمد يبذل الطاعة لهُ، ثم أشار الذهبي[77] الى اللقاء والصلح الذي حصل بين السلطان محمد وجكرمش فقال:(... فقام محمد واعتنقهُ وقال:(ارجع الى رعيتك، فإن قلوبهم اليك، فقبل الارض وعاد فقدم للسلطان وللوزير تحفاً سنية، ومد سماطا عظيماً بظاهر الموصل...)، ولم يلبث السلطان محمد أن أمر بعزل شمس الدولة جكرمش عن الموصل واعمالها وأقطعها الى الامير جاولي سقاوة سنة(500هـ/1106م)،وعزل جكرمش عن الموصل، وأوضح الذهبي [78] سبب عزل جكرمش عن الموصل، وذلك لان الاخير التزم بحمل المال وبالخدمة، الا انهُ لم يف بما قال، وأشار بشكل موجز الى الاحداث التي اعقبت ذلك والمواجهة التي حصلت بين جكرمش وجاولي سقاوة' اذ سار جاولي الى بغداد، ثم الموصل، ونهب في طريقهِ البوازيج بعد أن أمن أهلها، ثم قصد اربيل فتجمع جكرمش في الفين، وكان جاولي في الف فحمل على قلب جكرمش فانهزم، وذكر بقاء جكرمش وحده لا يقدر على الهزيمة فأسروهُ، وذكر الذهبي[79] في سنة(502هـ/1108م) إرسال غلمان جكرمش الى الامير صدقة بن مزيد والى قسيم الدولة البرسقي والى صاحب الروم قلج ارسلان قتلمش(501-485هـ/1107-1092م) يستدعون كلّا منهم ليكشف عنهم، ويسلمون اليه الموصل، فبادر قلج ارسلان، وخاف جاولي ورحل، وأما البرسقي شحنة بغداد فسار فنزل تجاه الموصل بعد رحيل جاولي بيوم، فلم ينزلوا اليهِ، فغضب ورجع، وتملكها قلج ارسلان وحلفوا لهُ في رجب، وأسقط خطبة السلطان محمد وذكر انه تألف الناس بالعدل وقال انه من سعى اليّ في احد قتلته. ومما يذكر أن قلج أرسلان توفي بعد المعركة التي حدثت بينهُ وبين جاولي، اذ اقترب قلج ارسلان من قتل جاولي، الا أنهُ هزم ولكي يتجنب الوقوع في الأسر رمى بفرسهِ الى الخابور، فانحدرت بهِ فرسهُ الى ماء عميق فغرق[80].

وأشار الذهبي[81] الى حصار جاولي للموصل وبها زنكي بن جكرمش، ومات الأخير امام الحصار وعمرهُ ستون سنة، وتمكن جاولي من السيطرة على الموصل بعد ان فتح أهلها لهُ وتملكها، وكثر رجالهُ وأموالهُ [82]، وكان الاخير قد استولى على بلاد خورستان وفارس، واقام سنين وعمر قلاعها كما ذكر الذهبي[83] الا أن سياسة جاولي قد تغيرت تجاه السلطان ولم يحمل شيئاً من الاموال اليهِ، فلما قدم السلطان بغداد لحرب صدقة جهز السلطان عسكراً لحرب جاولي وتحصن الاخير بالموصل، وظلم وعسف وأهلك الرعية. وبعث اليهِ السلطان، الامير مودود، وتحصن جاولي، وحاصرهُ مودود ثمانية أشهر، ثم أشار الى صفح السلطان عن جاولي في سنة(502هـ/ 1108م) وذلك بعد ان سار الاخير الى السلطان وهو بقرب أصفهان، فدخل على السلطان وعفا عنهُ. وقد ذكر الذهبي[84] أن السلطان محمد كان كثير الحلم والصفح.

ومما يذكر، أن السلطان اضطر الى إعادة الحوار مع الأمير جاولي للصلح، وذلك للمسير بالعساكر

(76) للمزيد ينظر: الجميلي، **امارة الموصل في العصر السلجوقي**،ص109؛الصائغ، **تاريخ الموصل**، مج1/188.
(77) **المصدر نفسهُ**، ج34/ 63 .
(78) **المصدر نفسهُ**،ج35/10.
(79) **المصدر نفسهُ**،ج11-35/10.
(80) بسام أدريس الجلبي، **موسوعة أعلام الموصل**(الموصل، وحدة الحدباء للطباعة والنشر، 2004م)مج2/ 35.
(81) **تاريخ الإسلام**،ج35/10.
(82) **المصدر نفسهُ**، ج35/ 12.
(83) **المصدر نفسهُ**، ج35/ 12-10.
(84) **المصدر نفسهُ**، ج35/12

لنجدة طرابلس، وقد أبدى جاولي استعدادهُ لتنفيذ أمر السلطان واشترط رحيل العسكر عن الموصل على أن يرسل السلطان من يتولى أمرها، وتعهد جاولي بأن يسلم ولدهُ رهينة الى السلطان، وكانت الموصل لا تزال بيد أصحاب جاولي، فأمروا بالرحيل عنها، وأبدى جميع الأمراء موافقتهم على الرحيل عن الموصل عدا الامير مودود الذي أبى الرحيل الا بموافقة السلطان، وأقام مودود على الموصل حتى تم لهُ فتحها [85]. وقد أشار الذهبي [86] بشكل مختصر الى سيطرة مودود على الموصل، اذ نزل العسكر الموصل في رمضان سنة(501هـ/1107م)،وتمكن الامير مودود من دخول المدينة بمساعدة بعض أهلها، وانتزعها من يد جاولي سقاوة سنة(502هـ/ 1108م)، وأمّن الناس، وعصت زوجة جاولي بالقلعة ثمانية ايام، ثم نزلت بأموالها، ثم أوضح الذهبي [87] كيفية اغتيال مودود صاحب الموصل سنة(507هـ/ 1113م) وذكر بشيء من التفصيل شيئا من صفاتهِ، وذلك عندما دخل مودود مع خواصهِ الى دمشق وأقام عند صاحب طغتكين(522–497هـ/ 1128–1103م)، ونزل هو وطغتكين يوم الجمعة في ربيع الاول للصلاة ومشى مع طغتكين في صحن الجامع، فهجم عليه شخص، وجرحهُ في عدة مواضع، ثم قتل هذا الشخص وأحرق، وذكر محاولة الاغتيال الثانية التي تعرض لها مودود والتي توفي على اثرها فقال:((...ولما قضيت الجمعة تنقل بعدها مودود وعاد هو والاتابك وحولهما من الاتراك والديلم والاحداث بأنواع السلاح من...والخناجر المجردة ما شاكل...فلما حصلا في صحن الجامع وثب رجل لا يؤبه له فقرب مودود كأنهُ يدعو لهُ ويتصدق عليه، فقبض ببند قبائهِ وضربهُ بخنجر اسفل سرتهُ ضربتين، هذا والسيوف تنزل عليهِ، ومات مودود ليومهِ صائماً وكان فيهِ عدل وخير))[88].

وأورد الذهبي[89] الروايات التي قيلت عن أسباب قتل مودود صاحب الموصل وبين رأيهُ فقال:(... فقيل إن الإسماعيلية قتلتهُ، وقيل خافهُ طغتكين فجهز عليهِ الباطني، وذلك بعيد...) وكان ذلك سنة(507هـ/1113م)، ثم ذكر المكان الذي دفن فيهِ مودود ومن ثم حمله الى بغداد فدفن في جوار الامام ابي حنيفة ثم نقل الى اصبهان، ومن ثم تسلم صاحب سنجار حواصلهُ وحملها الى السلطان محمد. وبمقتل مودود انتقل حكم الموصل الى اق سنقر البرسقي، فذكر الذهبي[90]ن السلطان محمد عندما علم بمقتلهِ، أقطع الموصل والجزيرة لأق سنقر البرسقي، وأمره أن يتوافق هو والامير عماد الدين زنكي بن اق سنقر وطلب منه ان يتشاورا في المصلحة، وذلك لنهضته وشهامته وذلك في سنة(507هـ/1113م). ومما يذكر ان حكم البرسقي على الموصل لم يستمر طويلاً اذ عزلهُ السلطان عن الموصل إثر هزيمتهِ أمام بعض امراء الأطراف فضلاً عن إخفاقهِ في تحقيق النصر على الصليبين[91]. وأشار الذهبي [92] أيضاً الى علاقة السلطان محمد، بكل من حاكم الموصل مودود، وأق سنقر البرسقي من بعدهِ اذ سلم السلطان ولدهُ مسعود الى الأمير مودود ليربيهِ، فلما قتل مودود وولي الموصل أق سنقر البرسقي، سلمهُ ولدهُ ايضاً.

وذكر الذهبي[93] في أحداث سنة(512هـ/ 1118م) تولي مسعود بن السلطان محمد ملكشاه إمرة الموصل، وله اربع عشرة سنة وأبي بكر جيوش بيك، ثم ذكر حدوث مواجهة بين السلطان

(85) الجميلي، **أمارة الموصل في العصر السلجوقي**، ص124–123.
(86) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج35 /10.
(87) **المصدر نفسهُ**،ج35/28.
(88) **المصدر نفسهُ**، ج35/ 38.
(89) **المصدر نفسهُ**،ج35/28.
(90) **المصدر نفسهُ**، ج35/28.
(91) الجميلي، **موسوعة الموصل الحضارية**،مج2/125.
(92) **تاريخ الإسلام**،ج37/ 286.
(93) للمزيد ينظر : **المصدر نفسهُ**،ج35/ 273–272.

محمود(526–512هـ/1131–1118م) وأخيهِ الملك مسعود وذلك سنة(514هـ/1120م) وكانت كل من أذربيجان والموصل بيد مسعود وأوضح بشيء من التفصيل سبب المواجهة بين الطرفين، وذلك بعد أن حسنت لهُ بعض الشخصيات الخروج على أخيهِ، وخُطب لمسعود بالسلطنة، والتقى مسعود بأخيهِ، ودام القتال طوال النهار، وانهزم جيش مسعود، وتم أسر عدد منهم، وهرب مسعود ثم بعث يطلب الأمان، فرق لهُ السلطان محمود وأمنهُ، وسار مسعود الى الموصل، ثم جاء جيوش بك فعفا عنهُ السلطان أيضا. وأشار الذهبي[94] الى مقتل الامير جيوش بك سنة(516هـ/1122م)من قبل السلطان محمود خوفاً منهُ وأمن عائلتهُ، وأوضح أنهُ كان مهيباً شجاعاً .

وكانت الولاية الثانية للبرسقي سنة(515هـ–520هـ/1126–1121م)اذ أقطعهُ السلطان محمود، واسطاً وأعمالها، مضافة الى ولاية الموصل وشحنكية العراق، فسير الى واسط عماد الدين زنكي بن اقسنقر، وأمرهُ بجهاد الفرنج فسار اليها كما بينّ الذهبي[95] في عسكر كبير، واستقر بها وكان السلطان محمود قد أعاد البرسقي على ولاية الموصل مكأفاة لخدمتهِ، كما أنهُ تدخل في الحرب التي نشبت بين السلطان وأخيهِ مسعود ومهد للصلح بينهما[96]. وذكر الذهبي[97] قتل الباطنية لاق سنقر البرسقي في مقصورة الجامع. والوالي السابع من الولاة السلاجقة الذين حكموا الموصل عز الدين مسعود بن اق سنقر البرسقي، وأشار الذهبي[98] الى وصولهِ الى الموصل بعد قتل والدهِ ورد اليهِ السلطان جميع اقطاع والدهِ، ولم يدم حكمهُ طويلاً، اذ أشار الى موتهِ بالرحبة التي سار اليها، وقال إنهُ كان بطلاً شجاعاً عالي الهمة.

علاقة حكام الموصل بحكام الامارات والمدن المجاورة:

كان لولاة الموصل في العصر السلجوقي نشاط واسع في إقليم الجزيرة وشمال الشام، فأنشأوا علاقات مختلفة مع الامارات والمدن المنتشرة في هذا الإقليم، وكان إقليم الجزيرة يحتل مركز الصدارة في السياسة التي انتهجها حكام الموصل خلال هذه المرحلة وذلك لارتباطه الجغرافي مع الامارة وتأثيرهِ المباشر على الاحداث السياسية التي كانت تعصف بالمنطقة نتيجة الصراع الذي تفجر بين السلاجقة بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة(485هـ/1092م)، وتعرض الشام وإقليم الجزيرة للغزو الصليبي في أواخر القرن5هـ/11م. [99].

وقد أشار الذهبي[100] بشكل موجزا الى علاقة حكام الموصل بحكام الامارات والمدن المجاورة. فذكر حاكم الموصل كاربوقا وأوضح علاقتهُ بتاج الدولة تتش الذي تمكن من السيطرة على حلب سنة(487هـ/1094م)بعد محاصرتها وأخذ الامير بوزان وكربوقا اسيرين، فقتل بوزان، وبعث برأسهِ الى حران والرها، فخافوهُ وسلموا اليهِ البلدين، وسجن كربوقا بحمص، ثم سارِ الى بلاد الجزيرة فملكها، ثم ملك خلاط وغيرها، وسار الى اذربيجان فافتتحها. وتمكن كربوقا كما ذكر الذهبي[101] من التخلص من سجن حمص بعد قتل تتش، وذهب الى حران فتملكها، ثم سيطر على الموصل كما أشرنا انفاً، وقرب زنكي وبالغ في الاحسان اليهِ ورباهُ، ومما يذكر أن كربوقا كان من رجال أق سنقر البرسقي(والد عماد الدين زنكي) الذي أسس الدولة الاتابكية بالموصل سنة(521هـ/ 1127م) وعندما قتل أق سنقر

(94) للمزيد ينظر: **المصدر نفسهُ**،ج35/ 295.
(95) **المصدر نفسهُ**،ج35/ 289.
(96) الصائغ، **تاريخ الموصل**،ج2/193.
(97) **تاريخ الإسلام**،ج35/ 306.
(98) **المصدر نفسهُ**،36/ 8.
(99) الجميلي، **موسوعة الموصل الحضارية**،ج2/130
(100) **تاريخ الإسلام**،ج33/34
(101) **المصدر نفسهُ**،ج37/64.

سنة(487هـ/1094م)تبنى ابنهُ زنكي ورباهُ [102]. كذلك أشار الذهبي[103] الى علاقة الصراع التي كانت بين تتش الذي تمكن من السيطرة على دمشق سنة(487هـ/1094م)ومعهُ عسكر انطاكية، وكل من اق سنقر وحاكم الموصل كربوقا، وبزان صاحب الرها، ويوسف بن ابق صاحب الرحبة، الذين بلغ عددهم ألفين وخمسمائة فارس، وحدث القتال بين الطرفين أسفر عن هزيمة قسيم الدولة وكسر كربوقا وبوزان، ووقع فيهم القتل، وذكر ثبات قسيم الدولة الذي أسر في طائفة من اصحابهِ وحمل الى تتش، فأمر بضرب عنقهِ واعناق جماعة من اصحابهِ وذلك في شهر جمادى الاولى، ودفن في المدرسة الزجاجية[104] داخل حلب.

أما مدينة آمد فقد أشار الذهبي [105] الى توجه كربوقا اليها لغرض السيطرة عليها، فتوجه اليها سقمان بن ارتق ليدافع عنها، وكان عماد الدين زنكي بن اق سنقر انذاك صبياً مع كربوقا، فالقي الى الارض، وقاتل مماليك ابيهِ عنهُ، فانهزم سقمان وأسروا ابن أخ سقمان بماردين، فطلبت زوجة سقمان بن أرتق من صاحب الموصل أن يطلق الشاب ويدعى ياقوتي من حبسهِ في ماردين فأطلقهُ، وذكر كيفية سيطرة ياقوتي على ماردين، ومن ثم وفاته، وملك ماردين من بعدهِ علياً أخا ياقوتي الذي دخل في طاعة صاحب الموصل، وسار الى خدمتهِ. أما حاكم الموصل جاولي سقاوة، فقد ذكر الذهبي[106] علاقتهُ بملوك الامارات والمدن المجاورة وذلك عندما تحدث عن مسير جاولي بعساكرهِ الى نواحي نصيبين، مشيراً الى حدوث أمور طويلة لهُ، وأخذ مدينة بالس، وفتك ونهب بالمسلمين. كذلك أشار الذهبي[107] الى منازلة جاولي سقاوة للرحبة ومحاصرتها ثم افتتحها ونهبها الى الظهر، وسار في خدمتهِ صاحبها محمد بن سباق الشيباني. وفي عهد حاكم الموصل اق سنقر البرسقي ذكر الذهبي[108] من خلال حديثهُ عن خروج اق سنقر البرسقي لحرب الفرنج سنة (508هـ/1114م)، أن الأخير عند عودتهِ من حصار الرها، نهب ماردين وقبض على أياز بن ايلغازي، وهذا مما أثار غضب صاحب ماردين بسبب خراب بلادهِ وأسر ولدهِ، فنزل وحشد، ونزل معهُ ابن أخيهِ صاحب حصن كيفا، ركن الدولة داؤد بن سقمان(أبن أخي ايلغازي)، فالتقى هو والبرسقي أواخر سنة(508هـ/ 1114م) فانهزم البرسقي وخلص أياز، الا أن الأخير خاف من السلطان، فسار الى دمشق، وكان صاحبها خائفاً من السلطان أيضاً لأنهُ نسب قتل مودود صاحب الموصل اليهِ، فاتفقا على الامتناع والاستعانة بالفرنج، فأجابهما الى المعاونة صاحب أنطاكية وجاء واجتمعوا ثم تحالفوا وافترقوا. ومن الجدير بالذكر أن أق سنقر البرسقي عمل على إخضاع المدن المجاورة قبل المضي في مواجهة الغزاة الصليبيين ومنها ماردين وكان عليهِ أن يستعمل هذهِ السياسة في تعاملهِ معهم خلال المرحلة التي كانت تستلزم حشد الطاقات للمواجهة الاحتلال الصليبي الذي بات يهدد إقليم الجزيرة والموصل تهديداً مباشراً بعد احتلالهم الرها((109)). أما عز الدين مسعود فقد أشار الذهبي[110] بشكل موجز جداً الى علاقتهِ بحكام المدن والامارات المجاورة فذكر أنهُ طمع في التغلب على الشام، وسار اليهِ بعساكرهِ، فبدأ بالرحبة وحاصرها، الا أنهُ مرض مرضاً شديداً، فتسلم القلعة ومات بعد ساعة. ومن الجدير بالذكر أن الرحبة استمر خضوعها لإمارة الموصل

(102) الجلبي، **موسوعة أعلام الموصل**،ج2/ 37؛سعيد الديوه جي، **تاريخ الموصل**،ج1/259.

(103) **تاريخ الإسلام**،ج33/202.

(104) المدرسة الزجاجية: أنشأها بدر الدين أبو الربيع سليمان بن عبد الجبار بن أرتق صاحب حلب، وهي أول مدرسة بنيت فيها.كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الحلبي الشهير بالغزي.**نهر الذهب في تاريخ حلب**،ط2(حلب، دار القلم،1419)ج1/133 .

(105) **تاريخ الإسلام**،ج34/280.

(106) **المصدر نفسهُ**، ج35/12.

(107) **المصدر نفسهُ**، ج35/11.

(108) **المصدر نفسهُ**، ج35/ 29.

(109) االجميلي، **موسوعة الموصل الحضارية**، ج2/ 132.

(110) **تاريخ الإسلام**، 36/8.

حتى سنة(520هـ/ 1126م)اذ خرجت عن طاعة عز الدين مسعود بعد مصرع والدهِ البرسقي، فصمم على اخضاعها بعد أن استقرت له الأمور في الموصل، وأقام على حصارها مدة ثم تسلم القلعة ومات بعد ساعة، فندم أهلها على تسليم المدينة((111)).

1 – جهاد حكام الموصل ضد الصليبين:

تمتع الأمراء السلاجقة في هذهِ المرحلة بنفوذ واسع في الموصل وإقليم الجزيرة، وكانوا موضع تقدير المسلمين بسبب تزعمهم لحركة الجهاد ضد الغزاة الصليبين الذين اجتاحوا بلاد الشام أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي(491هـ/1097م). ومن المواضيع المهمة التي تطرق لها الذهبي[112] في حديثهِ عن حكام الموصل، جهادهم ضد الصليبين، فأشار الى سقوط انطاكية بيد الفرنج وذلك سنة491هـ/1097م، على يد يغيسيان، وأشار الى ماقام بهِ حاكم الموصل قوام الدولة كربوقا وذلك بجمع الجيوش والمسير الى الشام، ونزولهُ بمرج دابق، واجتمعت معهُ عساكر الشام تركها وعربها، واجتمع معهُ دقاق وطغتكين أتابك، وجناح الدولة صاحب حمص، وأرسلان صاحب سنجار، وسليمان بن ارتق وغيرهم، وذكر الذهبي[113] اوضاع الفرنج، وسياسة كربوقا التي اتبعها مع الجيش ومع الفرنج فقال:(...فعظمت المصيبة على الإفرنج وكانوا في وهن وقحط وسارت الجيوش فنازلتهم، ولكن أساء كربوقا السيرة في المسلمين، وأغضب الامراء وتحامق، فأضمروا لهُ الشر وأقامت الإفرنج في انطاكية بعد أن ملكوها ثلاثة عشر يوماً وليس لهم ما يأكلونهُ، وأكل ضعفاؤهم الميتة وورق الشجر، فبذلوا البلد بشرط الامان فلم يعطهم كربوقا).

أما جكرمش فلم يكن غافلاً عن مخططات الغزاة وأهدافهم التوسعية فبادر الى مراسلة أمراء الأطراف داعياً إياهم الى تحمل المسؤولية في الدفاع عن البلاد الإسلامية وتناسي الخلافات الجانبية، وانضمت قواتهم الى جيش الموصل[114] وقد ذكر الذهبي[115]) في وقعة نهر البليخ سنة (497هـ/1103م) نزول الإفرنج الى حران، فسار لجهادهم سقمان وجكرمش في عشرة الاف فارس فكانت الوقعة على نهر البليخ، فانهزم المسلمون أولاً وتبعهم الإفرنج، ثم عاد المسلمون عليهم فقتلوهم وغنموا أسلابهم وكان فتحاً عظيماً أذل نفوس الإفرنج كما ذكر الذهبي[116]. وأشار أيضاً الى أن بيمند صاحب انطاكية وتنكري صاحب الساحل، كانا قد كمنا وراء الجبل، فلما خرجا وجدوا أصحابهم منهزمين فتسحبا باليل وفطن لهم المسلمون فتبعوهم، وقتلوا وأسروا، وأفلت الملكان في ستة فرسان، ووقع قمص الرها في الأسر، وحاز الغنيمة عسكر سقمان، ولم يظفر عسكر جكرمش صاحب الموصل بطائل. كذلك تحدث عن مسير جكرمش الى حران وتسلمها وقرر بها نائبهُ، ثم سار فحاصر الرها خمسة عشر يوماً وبها الإفرنج، وذكر ايضاً رحيل جكرمش الى الموصل وفي أسرهِ القمص ففاداهُ بخمسة وثلاثين الف دينار ومائة وستين اسيراً من المسلمين[117]. اما حاكم الموصل جاولي سقاوة، فقد ذكر الذهبي[118] تتابع كتب أتابك طغتكين وفخر الملك ابن عمار ملك الشام الى السلطان محمد بن ملكشاه، يخبرونهُ بعظم ما حل بالشام وأهلهُ من الإفرنج ويستصرخون بهِ ويستنجدون بهِ ليدركهم فجهز السلطان السلجوقي جيشاً عليهِ جاولي سقاوة، وأشار الذهبي[119] إلى أن السلطان كان قد أمرهُ بالمسير لغزو الفرنج وأقطعهُ

(111) الجميلي، **موسوعة الموصل الحضارية**، ج2/ 134.
(112) الذهبي، **تاريخ الإسلام**،ج34/9.
(113) **المصدر نفسهُ**،ج34/33.
(114) الجميلي، **موسوعة الموصل الحضارية**، مج2/140
(115) **تاريخ الإسلام**،ج34/ 59، 60
(116) **المصدر نفسهُ**،ج34/ 60
(117) **المصدر نفسهُ**، ج34/60.
(118) **المصدر نفسهُ**،ج34/81.
(119) **المصدر نفسهُ**،ج35/10.

الموصل ونواحيها، اما بقية الحكام الذين كاتبهم السلطان لنجدة المسلمين وحرب الكفار فقد تثاقلوا عن الجهاد، ولم يلحقوا بجيش المسلمين، وذكر الموقعة التي حدثت بين جاولي وصاحب انطاكية وذلك في سنة(502هـ/ 1108م) وكان جاولي في الف فارس وخرج لحربهِ صاحب انطاكية تنكري في الف وخمسمائة من الفرنج، وستمائة من عسكر حلب فانهزم جاولي لقلة عسكرهِ، وسار نحو الرحبة، وقُتل عدد كبير من الفريقين[120].

وفي عهد حاكم الموصل مودود بن التونتكين، أشار الذهبي[121] الى قدوم القادة للجهاد ضد الفرنج، وذلك في سنة(506هـ/1112م)، وخاضت قوات مودود بن التونتكين الفرات، ومعهم صاحب سنجار، والأمير أياز بن ايلغازي، استقبلهم صاحب دمشق طغتكين الى سلمية وكان الأخير كثير المودة بمودود، وأشار الى تتابع غارات الفرنج على حوران، وغلت الأسعار بدمشق، فاستنجد طغتكين بصديقهِ مودود، فبادر اليهِ، فأتفق على قصد بغدوين صاحب القدس وساروا حتى وصلوا الى الاردن. وفيما يتعلق بجهاد حكام الموصل ضد الصليبين ايضاً وفي الولاية الاولى لأق سنقر البرسقي، ذكر الذهبي[122] في سنة(508هـ/ 1114م) قدوم اق سنقر البرسقي الى الموصل وسير معهُ السلطان محمد، ولدهُ مسعود في جيش كبير لحرب الفرنج، فنازل البرسقي الرها في خمسة عشر الف راكب، فحاصرها شهرين، ثم رحل لقلة الميرة وعاد الى شحنان فقبض على اياز بن ايلغازي، ونهب ماردين ثم تسلم حصن مرعش من الفرنج صلحاً. وفي الولاية الثانية لاق سنقر البرسقي، أوضح الذهبي[123] في سنة(510هـ/ 1116م) ورود الخبر بأن بدران بن صنجيل صاحب طرابلس جمع وحشد وسار الى البقاع، وكان البرسقي صاحب الموصل قد وصل الى دمشق لمساعدة الاتابك طغتكين، فتلقاهُ الاخير وهجما على الفرنج، فوضعوا فيهم السيف قتلاً وأسراً، وقتل نحو ثلاثة الاف، وهرب ابن صنجيل وغنم المسلمون خيلهم وسلاحهم ورجعوا، ورجع البرسقي الى الموصل، وقد استحكمت المودة بينه بين طغتكين .كذلك بينّ الذهبي[124] كيفية تملك البرسقي لمدينة حلب سنة(518هـ/1124م)، فأشار الى أن الفرنج لما ملكوا مدينة صور طمعوا وقويت نفوسهم، ووصل اليهم دبيس بن صدقة، فأطمعهم في السيطرة على مدينة حلب وبينّ لهم أن أهل حلب يميلون اليهِ وأنهم متى رأوهُ يسلموها اليهِ، فيكون نائباً للفرنج فيها، فساروا معهُ، وحاصروا المدينة حصارا شديداً فاستنجد أهلها بالبرسقي، فسار اليها بجيوشهِ، فرحل الفرنج عنها، وهو يراهم فلم يهاجمهم، ودخل البرسقي حلب ورتب أمورها. وفيما يتعلق بجهاد أق سنقر البرسقي ضد الصليبين ايضاً أشار الذهبي[125] في أحداث سنة(519هـ/1125م)الى قدوم البرسقي، فنازل كفر طاب [126] وأخذها من الفرنج، وحدثت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة البرسقي، وأسر عدد كبير من المسلمين.

الخاتمة

نال كتاب (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام) شهرة واسعة لما تميز بهِ من ميزات عظيمة، اذ هو أضخم مؤلفات الذهبي الكثيرة، وأوسع التواريخ العامة حتى عصرهِ، تناول فيهِ تاريخ الإسلام من بدء الهجرة النبوية حتى سنة 700هـ، ضم الكتاب تراجم المشهورين في كل ناحية من نواحي الحياة، ولم يقتصر على فئة معينة منهم، وفي مجال التراجم تظهر عظمة الذهبي من حيث العدد والشمول

(120) **المصدر نفسهُ**،ج35/12.
(121) **المصدر نفسهُ**،ج35/ 26.
(122) **المصدر نفسهُ**،ج35/ 29.
(123) المصدر نفسهُ،ج35/38.
(124) **المصدر نفسهُ**، ج35/ 304.
(125) **المصدر نفسهُ**،ج35/306.
(126) كفرطاب: بلدة بين المعرة ومدينة حلب في برية معطشة ليس لهم شرب الا ما يجمعونهُ من مياه الأمطار في الصهاريج. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج4/470.

الفريد الذي فكانت تراجمهُ بحدود اربعين الف ترجمة، تضمن تاريخ الإسلام مادة واسعة في التاريخ السياسي والاداري، وعني بذكر الاحوال الاقتصادية للدولة الإسلامية، فضلاً عن النواحي السياسية، وتكمن أهمية تاريخ الإسلام في تصويرهِ للحياة الفكرية على مدى العصور الإسلامية، وحفظ لنا الذهبي في تاريخ الإسلام، عدداً هائلاً من أسماء مؤلفات المترجمين ولم يكتف الذهبي بذكر الكتب ونسبتها الى مؤلفيها بل تكلم عن كثير منها وقومها. ومن بين المواضيع المهمة التي تناولها الذهبي في كتابهِ (تاريخ الإسلام)، سبعة من ابرز الولاة السلاجقة الذين حكموا الموصل وهم: قوام الدولة أبو سعيد كربوقا، وشمس الدولة جكرمش، قلج ارسلان، وجاولي سقاوة، ومودود بن التونتكين، واق سنقر البرسقي الولاية الاولى، عز الدين مسعود بن السلطان محمد واتابكهُ وجيوش بك، والولاية الثانية للبرسقي أيضاً سنة. وتميزت المادة التاريخية التي قدمها عن هؤلاء الولاة بالاختصار ركز فيها على الجوانب السياسية والعسكرية، الا أنها تميزت بكونها مادة متنوعة في مضامينها التاريخية تناول فيها حكام الموصل في العصر السلجوقي وكيفية سيطرتهم على الموصل، وعلاقة حكام الموصل بالسلاطين السلاجقة، وعلاقة حكام الموصل بحكام الامارات والمدن المجاورة، وأخيراً جهاد حكام الموصل ضد الصليبين.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر الاولية:

–ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف(ت874هـ/ 1469م):

1– **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، تحقيق: محمد محمد أمين، وسعيد عبد الفتاح عاشور مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.

_ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد(ت852هـ/1449م)

2– **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** الهند: حيدر اباد الدكن، 1972.

–الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م):

3– **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام**، حوادث ووفيات 580–571، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي، 1998.

_السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي(ت771هـ/1369م):

4– **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط1، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤهُ، 1971.

–الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك(ت764هـ/1362م):

5– **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أبو عبد الله جلال الأسيوطي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2010. اعتناء: شكري فيصل، فيسبادن، فرانزشتاينر، د، ت.

_ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (1089هـ/1678م):

6– **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة، بيروت: دار الافاق الجديدة، د،ت.

_ابن كثير: عماد الدين اسماعيل بن عمر(ت774هـ/1372م)

7– **البداية والنهاية**، ط2،بيروت: مكتبة المعارف، 1977.

_النعيمي، عبد القادر بن محمد **(ت987هـ/1570م)**

8– **الدارس في تاريخ المدارس**،ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990 .

_ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت626هـ/1228م)

9– **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1957 .

ثانياً: المراجع الثانوية:

_الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الحلبي(ت1351هـ/1933م)

1- **نهر الذهب في تاريخ حلب**،ط2،حلب: دار القلم،1419.

_معروف، بشار عواد:

2- **الذهبي ومنهجهُ في كتابه تاريخ الإسلام**،ط1، القاهرة، عيسى البابي الحلبي وشركاؤهُ، 1976.

_عباس، احسان :

3-**تاريخ بلاد الشام في عصر المماليك923-648هـ/ 1587-1250**،عمان، مطبعة الجامعة الاردنية، 1998.

_الجلبي، بسام أدريس:

4- موسوعة أعلام الموصل، الموصل، وحدة الحدباء للطباعة والنشر، 2004م.

_الصائغ، سليمان:

5- **تاريخ الموصل**، تحقيق: عبد الخالق بن عبد الطيف بن حسن الموصلي، بيروت، دار الكتب العلمية،2013.

ثالثاً: الدوريات:

_الجميلي، رشيد عبد الله:

1- **الموصل في عهد السيطرة السلجوقية521-489هـ/1127-1095م، موسوعة الموصل الحضارية**، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر،، ط1، 1992.

_جاسم، ضياء محمد محمود

2- **أقسام الصحابة عند الامام الذهبي**، مجلة الجامعة الإسلامية، 2008،ص88.

_المستادي، ريهام عبد الله

3- الظاهر بيبرس واستعادة امارة انطاكية، **دورية كان التاريخية**، العدد2009، 3، ص36-29، والبحث نقلاً عن المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الالكتروني: www.ivsl.org

رابعاً: الرسائل الجامعية

-الطوني، يوسف جرجيس جبو

1- **جهود العراقيين الحضارية في بلاد الشام ومصر 803-656هـ/ 1400-1258م**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990.